

تحركات الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود

عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م

وفقاً لوثيقة محلية محفوظة في الأرشيف العثماني (*)

د. ناصر بن محمد الجهيمي

نائب الأمين العام لدائرة الملك عبدالعزيز

ولد الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي عام ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م، وكان عمره أربعة عشر عاماً حين وفاة والده الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م، وهو أصغر أبناء الإمام فيصل. ولم يكن للإمام عبدالرحمن دور في بداية النزاع على الحكم بين أخويه الإمام عبدالله والإمام سعود؛ وذلك عائد لصغر سنه ولرغبته في تجنب أن يكون طرفاً في النزاع بين إخوانه، وذلك يتضح من خلال وقوفه مع الإمام سعود حينما بويع بالإمامة عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ثم تنازله عن الإمامة للإمام عبدالله ووقوفه معه عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م حتى وفاته عام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م^(١).

(*) أشكر لأخي معالي الدكتور فهد السماري أن نبهني إلى هذه الوثيقة واقترح علي إعداد دراسة عنها لنشرها بالمجلة لأهميتها، وأشكر للأخ حمد العنقري مساندته لي ببعض الوثائق.

(١) صحيفة أم القرى، عدد ١٨٢ في ١٢/٢٦/١٣٤٦هـ، (سيرة الإمام عبدالرحمن نشرت بعد وفاته - رحمه الله -)

يعد أول ظهور للإمام عبدالرحمن بعد استيلاء القوات العثمانية بقيادة نافذ باشا على الأحساء عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م، فقد أثر الإمام سعود في محاولته لاسترداد الأحساء التحرك السلمي، فأرسل أخاه عبدالرحمن إلى بغداد^(٢) عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م للتفاوض مع واليها الذي لم يبد استعداداً للتفاوض حول مسألة سحب القوات العثمانية من الأحساء. وبقي عبدالرحمن في بغداد ومعه الأمير فهد بن صنيان قرابة عامين، حتى يؤس من تجاوب الوالي العثماني الذي تبادل رسائل كثيرة حول هذا الموضوع مع السلطان العثماني في إسطنبول.

(٢) الذي يتضح من موقف الإمام عبدالرحمن من الخلاف الذي دار بين أخويه الإمامين عبدالله وسعود آنذاك التزام الإمام عبدالرحمن برأي العلماء فيما يتعلق بالخلاف بينهما، ومما لاشك فيه أن ذلك عائد إلى أن الإمام عبدالرحمن قد تعلم العلم في صغره على يد عدد من العلماء منهم الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، وعرف عن الإمام عبدالرحمن تعظيمه لأمر الشريعة والاتفاق مع العلماء فيما اجتهدوا فيه من رأي في الخلاف بين الإمام عبدالله والإمام سعود، حيث عدوا خروج الإمام سعود على أخيه ومفارقتة الجماعة غير جائز شرعاً، وعندما دخل الإمام سعود الرياض لم يَسعَ الإمام عبدالرحمن وغيره من العلماء وعامة الناس إلا المبايعة.

كان هذا هو موقف العلماء المبدئي، ثم كان موقفهم أيضاً وموقف الإمام عبدالرحمن بن فيصل عندما صدر من الإمام عبدالله ما صدر من استدعاء العثمانيين وقيامهم بتسليم الأحساء والقطيف، فعند ذلك اقتضى الإمام عبدالرحمن في مشايعته لأخيه الإمام سعود خطى العلماء، وعندما قرر الإمام سعود استعادة إقليم الأحساء كان للإمام عبدالرحمن دور بارز في ذلك المسعى بالسفر إلى بغداد لمفاوضته العثمانيين نيابة عن الإمام سعود ثم محاولة استرداد الأحساء بالقوة، وذلك على أساس أن العلماء أقرروا لسعود ببيعة الغلبة.

وتشير الوثائق العثمانية إلى أن الإمام عبدالرحمن بقي في بغداد معزراً مكرماً تصرف له الدولة العثمانية راتباً، حيث ورد فيها توجيه الباب العالي بتخصيص راتب ومنزل لإقامة الإمام عبدالرحمن، وعندما تمت الموافقة على عودته إلى بلاده صدرت أوامر الباب العالي بصرف مبالغ مالية له ولأتباعه. إلا أن التقارير البريطانية التي يصدرها مكتب وزارة الهند (IOR L/P&S/18/B437) أشارت إلى أن الإمام عبدالرحمن احتجز في بغداد كرهينة.

ومن خلال الوثائق العثمانية يتضح أن الدولة العثمانية كانت ترغب في حضور الإمام سعود بنفسه إلى بغداد لكنه أرسل أخاه عبدالرحمن بدلاً منه؛ لذلك لم تسمح الدولة العثمانية بمغادرة عبدالرحمن أملاً في حضور الإمام سعود، وحين يُست من حضوره سمحت لعبدالرحمن بالعودة^(٣).

وفي عام ١٢٩١ هـ / ١٨٧٤ م غادر الإمام عبدالرحمن العراق ووصل إلى البحرين ثم إلى العقير في شهر رمضان ومعه فهد بن صنيطان، حيث وفد إليه أهل الأحساء والعجمان وآل مرة، فحاصر القوات العثمانية في الهفوف في محاولة لاسترداد الأحساء، ونجح في فرض سيطرته على المنطقة، وقضى على عدد من الحامية العثمانية وحصر بقيتهم في حصن الكوت. إلا أن القوات التي قدمت من العراق ومعها قبائل المنتفق غيرت موازين القوى، حيث دارت معركة في آخر شهر ذي القعدة انكسر فيها أهل الأحساء، ثم تابعت الهزيمة على العجمان

(٣) الأرشيف العثماني بإسطنبول، دفتر عينيات رقم ٨٥١ وثيقة رقم ١٢٢، وتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٢٨٩ هـ.

وآل مرة، وانسحب الإمام عبدالرحمن خارج الأحساء وتوجه إلى الرياض حيث وصلها والإمام سعود قد اشتد عليه المرض ثم توفي في ١٨ ذي الحجة ١٢٩١هـ الموافق ٢٥ يناير ١٨٧٥م^(٤)، فبويع الإمام عبدالرحمن بالإمامة خلفاً لأخيه الإمام سعود^(٥).

ويذكر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن أن أهل العقد والحل من حمولة آل سعود ومن عندهم ومن يليهم رأوا مبايعة الإمام عبدالرحمن بعد وفاة الإمام سعود لما رأوه من اضطراب الناس، وخشية من الفتن واستباحة المحرمات. وأكد الشيخ عبداللطيف على ذلك في رسائله التي أرسلها للعلماء في نجد التي وضَّح فيها مبايعة أهل الحل والعقد من آل سعود ومن يليهم للإمام عبدالرحمن، بينما كان الإمام عبدالله على قيد الحياة ولم يبايع. يقول الشيخ عبداللطيف: "... وصارت ولاية التغلب ثابتة كما إليه أشرنا، ووقع اتفاق من ينتسب إلى العلم لديكم على هذا كالشيخ إبراهيم والشثري في الحوطة وحسين وزيد في الحريق، وخطوطهم عندنا محفوظة معروفة، فيها تقرير إمامة سعود ووجوب طاعته ودفع الزكاة إليه والجهاد معه وترك الاختلاف عليه، كل هذا موجود بخطوطهم. فلا جرم قد صار العمل على هذا والاتفاق. ثم توفى الله سعوداً واضطرب أمر الناس، وخشينا الفتنة واستباحة المحرمات من بادٍ وحاضر، وتوقعنا حصول ذلك وانسلاخ أمر المسلمين، فاستصحبنا ما ذكر وبنينا عليه،

(٤) أصيب الإمام سعود بالمرض وهو في صوار المعروف في أسفل بلد البير من بلدان المحمل فمات حين وصوله إلى الرياض رحمه الله تعالى. تحفة المشتاق للبسام، أحداث عام ١٢٩١هـ.

(٥) ابن عيسى، عقد الدرر، ص ١٩١، أحداث عام ١٢٩١هـ.

واختار أهل الحل والعقد من حمولة آل سعود ومن عندهم ومن يليهم نصب عبدالرحمن بن فيصل، وذلك صريح في عدم الالتفات منهم إلى ولاية غير سعود. ولهذا كتبنا من الرسائل التي فيها الإخبار بالبيعة والنهي عن سلوك طريق الفتن والاختلاف، وأن يكون المسلمون يداً واحدة...^(٦).

ورغم الهزائم التي حلت بالإمام عبدالله إلا أن انتصار ابن ربيعان على قوات أخيه الإمام سعود في طلال، ثم وفاة الإمام سعود، أثرا في تشجيعه على استئناف محاولاته لاستعادة الحكم، فبعث أخاه محمداً عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م بمن انضم إليه من عتيبة إلى الوشم، فتحرك الإمام عبدالرحمن ومعه أبناء أخيه سعود لصدده عنها، وتمكن من هزيمة القبائل التي معه، وأخذ الإمام عبدالرحمن أخاه محمد إلى الرياض^(٧).

ويرى المؤرخون - مثل ابن عيسى والبسام - أن الإمام عبدالرحمن حصلت بينه وبين أبناء أخيه الإمام سعود منافرة^(٨)، فخرج إلى أخيه الإمام عبدالله وهو إذ ذاك مع بادية عتيبة، وأتى معه إلى الرياض، وبوصول الإمام عبدالله والإمام عبدالرحمن خرج أبناء الإمام سعود من الرياض إلى الخرج، وبويع عبدالله بالإمامة^(٩).

(٦) ابن قاسم، الدرر السنية، ج٧، ص٢٥١.

(٧) ابن بسام، تحفة المشتاق، أحداث عام ١٢٩٢هـ.

(٨) ظهر الخلاف بين الإمام عبدالرحمن وأبناء أخيه الإمام سعود في عام ١٢٩٣هـ، وكان السبب الرئيس في هذا الخلاف هو مقتل فهد بن صنيطان آل سعود المقرب من الإمام عبدالرحمن، حيث قتله محمد بن سعود بن فيصل.

(٩) ابن عيسى، عقد الدرر. وابن بسام، تحفة المشتاق، أحداث عام ١٢٩٢هـ.

إلا أن رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن لا تشير إلى ذلك، وإنما تشير إلى أن الإمام عبدالله حاصر الرياض، وأقنع العلماء والوجهاء من أهل الرياض الإمام عبدالرحمن بالتنازل عن الإمامة فتنازل، وبويع عبدالله بالإمامة. يذكر الشيخ في رسالته ما نصه: "... ثم إن حمولة آل سعود صارت بينهم شحنا وعداوة، والكل يرى له الأولوية بالولاية، وصرنا نتوقع كل يوم فتنة وكل ساعة محنة، فلطف الله بنا، وخرج ابن جلوي من البلد وقتل ابن صنيطان^(١٠)، وصار لي إقدام على محاولة عبدالرحمن في الصلح وترك الولاية لأخيه عبدالله، فلم آل جهدي في تحصيل ذلك والمشورة عليه، مع أنني قد أكثرت في ذلك حين ولايته ولم أزل أكرر عليه في ذلك يوماً فيوماً، حتى يسر الله قبل قدوم عبدالله بنحو أربعة أيام أنه وافق على تقديم عبدالله، ورأى الحق له وأنه أولى منه لكبر سنه وقدم إمامته. فلما نزل عبدالله بساحتنا اجتهدت إلى أن محمد بن فيصل يظهر إلى أخيه ويأتي بأمان لعبدالرحمن وذويه وأهل البلد..."^(١١).

ولم تشر المصادر التاريخية إلى مشاركات الإمام عبدالرحمن في الوقعات المشهورة، مثل أم العصافير، أو الحملات على القبائل أو البلدان، التي قام بها الإمام عبدالله، أو أبناء الإمام سعود منفردين عن عمهم الإمام عبدالله. وهذا يوضح جانباً مهماً

(١٠) قتله محمد بن سعود بن فيصل بن تركي. ابن عيسى، عقد الدرر، أحداث عام ١٢٩٢هـ.

(١١) ما ذكره الشيخ عبداللطيف هو الراجح، لأنه معاصر ومشاهد للأحداث وله دور فيها. ابن قاسم، الدرر السنية، ج ٧، ص ٢٥٤.

من شخصية الإمام عبدالرحمن الذي آثر البعد عن الخلافات التي أضعفت الدولة، وسببت الفرقة والنزاع وتغلب أهل البلدان على إمارة بلدانهم، وزيادة قوة آل رشيد ونفوذه، وهي التي ذكرها الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى في قصيدته التي وجهها إلى آل سعود عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م ومطلعها:

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر

متى ينتهض للحق منكم عساكر^(١٢)

ويعود اسم الإمام عبدالرحمن للظهور مرة أخرى عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م حينما سطا أبناء الإمام سعود على عمهم عبدالله في الرياض وحبسوه^(١٣)، فاستتجد الإمام عبدالله بمحمد بن رشيد الذي دخل الرياض واستعمل فيه أميراً سالم السبهان، ثم رجع إلى حائل ومعه الإمام عبدالله الفيصل، وذلك في جمادى الأولى. ويذكر البسام في تحفة المشتاق أن الإمام عبدالرحمن وسعود بن جلوي بن تركي رافقوا الإمام عبدالله في ذهابه إلى حائل، ولم يذكر ذلك ابن عيسى، والأرجح ما ذكره الشيخ خزعل مما نصه: "... أن ابن

(١٢) ابن عيسى، عقد الدرر، أحداث عام ١٣٠٢هـ.

(١٣) برز الخلاف بين الإمام عبدالله وأبناء أخيه الإمام سعود في فترة مبكرة منذ عام ١٢٠٠هـ، حينما لم يخضعوا لعمهم الإمام عبدالله ولم يأتَمروا بأمره وقاموا بعدد من الغزوات على القبائل منها غزوة محمد بن سعود بن فيصل على ابن بصيص ومن معه من بادية برية وفي هذه المعركة قتل عبدالرحمن بن سعود بن فيصل وذلك عام ١٢٠٠هـ. وبلغ الخلاف ذروته عندما سطا أبناء الإمام سعود بن فيصل على الرياض في آخر محرم ١٢٠٥هـ وقبضوا على عمهم الإمام عبدالله بن فيصل وحبسوه واستولوا على الرياض.

رشيد أخذ معه الإمام عبدالله إلى حائل ولم يتعرض للإمام عبدالرحمن بسوء، وبعد مدة استقدمه إليه في حائل...^(١٤).

وفي شهر ربيع الأول من عام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م خرج الإمام عبدالله بن فيصل ومعه الإمام عبدالرحمن إلى الرياض، وتوفي الإمام عبدالله في الرياض بعد وصوله بيومين، وذلك يوم الثلاثاء ثامن يوم من ربيع الآخر، وبذلك تبدأ مرحلة جديدة من مراحل تاريخ الإمام عبدالرحمن، حيث بويع بالإمامة، وقبض على ابن سبهان في الرياض وحبسه، حيث بدأت الخلافات بين الإمام عبدالرحمن وابن رشيد التي انتهت بمغادرة الإمام عبدالرحمن الرياض^(١٥).

ورغم أن المصادر التاريخية لا توفر معلومات تاريخية عن فترة عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م إلا أن رسالة من عبدالرحمن بن عبدالله بن نقادان^(١٦) إلى الدولة العثمانية، أرفق بها تقريراً بعنوان "أخبار نجد" - مؤرخة في ٨ رمضان ١٣٠٨هـ باللغة العربية، محفوظة بالأرشيف العثماني، ومؤرخة في ٨ رمضان ١٣٠٨هـ تحت رقم (Y.Mtv.52-47) - تشير إلى تحركات الإمام عبدالرحمن الفيصل عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م، وهي ملخص لما ورد في التقرير المرفق. تشير الرسالة إلى قدوم الإمام عبدالرحمن آل فيصل إلى جهات الأحساء وقيامه

(١٤) حسين خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج ١، ص ١٤١.

(١٥) ابن بسام، تحفة المشتاق، أحداث عام ١٣٠٧هـ.

(١٦) عبدالرحمن بن عبدالله بن علي بن عبدالله بن سالم آل نقادان، من عشيرة العذبة من قبيلة المرة، شيخ قبيلة المرة، عاصر الإمام عبدالله بن فيصل وأخيه الإمام عبدالرحمن، والأمير محمد بن رشيد وكان محالفاً له، توفي بعد عام ١٣٣٠هـ. الأرشيف العثماني =

بالصلح بين قبائل المنطقة، ثم قيامه بتحركات لمحاولة استرداد الأحساء، ثم قدوم الشيخ قاسم آل ثاني إلى الأحساء لنجدة متصرفها. ونص الرسالة: "إلى حضرة الدولة العلية أدامها رب البريه من خصوص انا عبدالدولة ومملوك احسانها آكل معاش بذلك يجب علي نصح ملتي قطعة نجد في هذه الأيام عاكف باشا نفر الناس من بعد مراحه صار الوكيل ممشاه حسن فلما أن عبدالرحمن آل فيصل حذر من نجد خاشي من ابن رشيد بسبب أعماله وجا عند قرب اللوا ابتدا يصلحنا بالعشاير وأكد علينا الوكيل المتصرف عدم استلقايه واستلقاه الذي يريدون الفساد فحيث اشعر قيمقام قطر قاسم بن ثاني جا وساعدناه لتفريق هالجمعية التي مع عبدالرحمن وحين انهزموا جا يريد مواجهة الوكيل قاموا عليها سكاانة الرقيجة بتحريك من يريد الافساد ورموه بالبنادق وانقلب وشوشو ذهن الوكيل وظهر عليه عسكر ورجع وعرف الوكيل بأن هذا بسبب فساد من بعض اعضا مجالسكم يواجهون عبدالرحمن وهذا شيء عجيب والحقيقة جملة الأهالي إلا من قل يريدون إفساد إلا من قل ولو لا وجود الشيخ عبدالله السعدون رئيس املاك السنية سابق حينه دايم اوقاته ساعي في اطفاء الفتن وتسكين العشائر والذي نعلم ليس له نظير في بذله نفسه في خدمة الدولة

= تصنيف DH. MUI 17/4-22 محاضر الصلح بين آل مرة والعجمان في ١٣-١٤ رجب عام ١٣٢٧ هـ. وتصنيف B.E.O302151 محضر برواتب شيوخ القبائل في شرقي الجزيرة العربية في ٩ ربيع الآخر ١٣٣٠ هـ. المري، محمد بن راشد: الدرة من أخبار قبيلة آل مرة، الناشر المؤلف، د.م، د.ت، ص ٨٢، ٢٢٥-٢٢٩.

ونصح الملة هذا والأمر لمن له الأمر ٨ رمضان سنة ١٣٠٨هـ
عبدالرحمن بن عبدالله نقادان قليط آل مرة".

ونص تقرير ابن نقادان ما يأتي:
"أخبار نجد:

ابن رشيد شيخ جبل شمر بينه وبين السعود قرابه ومن
بعد خروج سعود وظهوره تغلب بالبوادي على أخيه عبدالله
صاحب فرمان الدولة فحينئذ التجأ عبدالله لمرجعه لجانب
الدولة العلية ومشت العساكر وتوجهت إلى اللوا فأما سعود
وقت خروجه سوا معاركه للعسكر بالخويره في أيام نافذ
باشا ومعه حملة من أشقياء العجمان حتى أذلهم الباري
بشوكة الدولة ومن بعدما أهلك الله سعود أتا عبدالرحمن آل
فيصل في أيام متصرفيه بزيغ باشا حين أطلق من حبس
الدولة في بغداد حتى سوا حركة في اللوا فصار بهذا أو
جاء إلى أن مشت العساكر بصحبة ناصر باشا فاستنقذوا
أهل اللوا من أيدي هؤلاء الأشقياء وإذ ذاك عبدالله آل
فيصل مستقيم في الرياض وبن رشيد يده على القصيم لأن
أهل القصيم ملتجين به وسكنت الأمور ثم بعد ذلك كانوا
أولاد الشقي سعود ومن تبعهم من عشائر العجمان يتحركون
حتى تجاسروا على عمهم عبدالله بالمكر حتى حبسوه حيث
أنه أيد صادق ومحسوب إلى الدولة ولم يساعد البوادي في
الحركات مع أن الوليه بعد وفات فيصل تحت يده حتى
خرجوا عليه هؤلاء الأشقياء فحينئذ ضبطوه ثلثا يخابر
مرجعه جانب العالي ضل الله في أرضه فاخفا بعض المخابره
القريبة بن رشيد ثم توجه ابن رشيد إلى الرياض لاستتقاده

من أيديهم فانهزم الاشقياء الذين هم أولاد سعود ومن تبعهم إلى الخرج ومن بعد استظهار عبدالله من أيديهم طلب من قريبه يغير هوى إلى الجبل وأمر ابن رشيد أن يبقى في الرياض طارفة من الرشيد فأبقى بن سبهان فلما أن أرادو الذين هم أولاد سعود أعمال الحركات كرة أخرى أوقعهم في أعمالهم وبعد ذلك توجه عبدالله آل فيصل من الجبل إلى مسكنه الرياض فأراد الله قرب أجله وبعد ذلك عبدالرحمن أخي عبدالله صاحب الأعمال السابقة سوا حركة مع جملة أشقياء في نفس الرياض بحيث مسك بن سبهان وقتل بعض أواده وأخذ أموالهم ودوابهم فحينئذ توجه ابن رشيد إلى الرياض واستخرج أواده فوقعوا عليه فخلى سبيلهم وامنحهم الاستتفاع بالرياض فقط ورجع إلى مكانه فما زالوا يحركون بالفساد حتى أحتركوا أهل القصيم زامل راعي عزيزه وولد مهنا راعي بريده فدافعهم ابن رشيد حرصا على السكون وحقن الدماء فأبو ذلك واستتصروا بالعجمان العائدين إلى اللوا واتفق عبدالرحمن مع العجمان ومن تبعهم من البوادي وتوجهوا لمحاربة ابن رشيد فحين بلغ بن رشيد الخبر باتفاقهم توجه إلى القصيم قبل وصول عبد الرحمن ومن معه من البوادي فخرجوا عليه أهل القصيم فواقعوه وقعتين ونصره الله عليهم وتولى بلادهم وأما عبدالرحمن ومن معه جاهم خبر الوقعة قبل وصولهم ففروا على أعقابهم من نجد وتوصلوا مع عبدالرحمن إلى قرب اللوا وقد سعى عبدالرحمن في الصلح بين عشائر العجمان وآل مره ومن تبعهم لأنهم يسعون بالفساد على ممالك المحروسه من هذا

اللوا وأما بن رشيد فهو منتسب إلى محسوبة الدولة وساعي في تأمين الطرق وقمع البوادي وفي هذا الأثناء مشا قايم مقام قطر ومعه غزيه ناحر إلى جهة عبدالرحمن آل فيصل ومن معه من البوادي لتفريق شاشتهم (شتاتهم) وابعادهم لأن تماديهم في أطراف اللوا بواسطة جمعيتهم يخشى من إحداثات فساد وعند ورود قايم مقام المذكور إلى ناحية الرقيقة من بعد هجج عبدالرحمن ومن معه من البوادي فيما يظهر لمواجهة وكيل متصرف فحين وصل الثقبه أهل النفاق شكوا عند الوكيل بأن بعض قوم قاسم ينهبون الرقيقة والحال أن أهل الرقيقة هم الذي تلقوا قاسم يرمونه فحينئذ ظهرت العسكر وانكف قاسم وفي قول أهل البلد قاسم يريد الافساد وفي قول قاسم كما أدرج في الأول هذا أصل مجيئه فإذا كان بعض أهل المحالس لهم مداخلة مع عبدالرحمن فيحبون الحركات وقاسم معلوم بأنه وحشي هذا حسب ما يظهر من الطرفين وأما الوكيل مجتهد في إصلاح العامة ونصح الملل هذه أفكاره ومساغيه هذه اخباريات طرفنا لأجل خلوص العبودية حررنا ذلك".

ومما لا شك فيه أن هذه الوثيقة العثمانية تضيف معلومات تاريخية ذات أهمية ولم ترد في المصادر التاريخية المحلية، فقد أشارت إلى تحركات الإمام عبدالرحمن بعد هزيمة أهل القصيم في معركة المليداء عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م وتوجهه إلى جهة الأحساء، وقدوم الشيخ قاسم آل ثاني بحملة لدعم الوالي العثماني في الأحساء خشية من سيطرة الإمام عبدالرحمن عليها.

كما يظهر من هذه الوثيقة أن القوات التي قدمت مع الشيخ قاسم آل ثاني استقرت في الرقيقة ونهبت البلد، مما جعل سكان الرقيقة يشكون للمتصرف العثماني في الأحساء، إلا أن الوثيقة العثمانية أشارت إلى أن أهالي الرقيقة سبق أن قاوموا الشيخ قاسم آل ثاني، مما يعني وقوفهم مع الإمام عبدالرحمن؛ مما جعلهم محل اتهام من المتصرف العثماني في الأحساء بأنهم تابعون للإمام عبدالرحمن.

ومما تتميز به هذه الوثيقة توافقها مع المصادر المحلية في المعلومات التي وردت فيها، فقد أشارت إلى أن الإمام عبدالرحمن قدم بعد علمه بهزيمة أهل القصيم في المليداء إلى الأحساء، وهذا ما أشار إليه عبدالله البسام في تحفة المشتاق في أحداث عام ١٣٠٨هـ بأن الإمام عبدالرحمن خرج في ذلك العام ومعه جنود كثيرة من الحاضرة والبادية وتوجه إلى القصيم لنصرة أهله، فلما وصل إلى الخفس جاءه خبر هزيمة أهل القصيم في المليداء، فرجع إلى الرياض وتفرقت تلك الجنود، وأقام في الرياض أياماً ثم خرج منها وتوجه إلى الأحساء.

ولعل في نشر هذه الوثيقة ما يمد الباحثين المهتمين بتاريخ المملكة العربية السعودية بمعلومات موثقة عن تاريخ فترة حافلة بالأحداث، لكنها لم تجد نصيبها من اهتمام المؤرخين، وهي فترة حكم الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود.

دراسة الوثيقة:

كتبت الوثيقة بخط جيد لكنه مليء بالأخطاء الإملائية واللغوية، وهو أمر شائع في كتابات تلك الفترة، كما أن

المتصرفية العثمانية في الأحساء لم تعط أهمية أو اعتباراً للخط العربي وللكتبة، وكل ما يعنيها هو تدوين التقارير الاستخبارية باللغة العربية ثم ترجمتها إلى اللغة العثمانية، وإرسال النص الأصلي العربي مع النص المترجم إلى إسطنبول لإطلاع السلطات الرسمية العثمانية على أخبار ولاياتها العربية في العراق والأحساء ومنطقة الخليج العربي، في ظل أحداث شهدت التدخل البريطاني والغارات بين القبائل وسوء الأوضاع الأمنية في ولاياتها.

تشير الوثيقة إلى صلة القرابة بين محمد بن رشيد شيخ جبل شمر وآل سعود، والقرابة التي أشارت إليها الوثيقة هي علاقة المصاهرة بين الأسرتين، فقد تزوج عبدالله بن علي بن رشيد - والد محمد المشار إليه في الوثيقة بأنه شيخ جبل شمر - الجوهرة بنت تركي بن عبدالله آل سعود خلال وجوده في الرياض قبل تعيينه أميراً على حائل من قبل الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م^(١٧).

كما تزوجت الجوهرة بنت فيصل بن تركي آل سعود من طلال بن عبدالله بن رشيد الذي حكم حائل خلال الفترة ١٢٦٣-١٢٨٣هـ / ١٨٤٧-١٨٦٦م^(١٨).

وكذلك زواج الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي ببنت عبيد بن رشيد^(١٩)، وزواجه من ابنة عمها نورة بنت عبدالله بن

(١٧) د. دلال بنت مغلد الحربي، نساء شهيرات من نجد، دار الملك عبدالعزيز، ص ١٥-١٧.

(١٨) المرجع نفسه، ص ٢٢-٢٩.

(١٩) يشير ضاري الرشيد أن الإمام فيصل خطبها لابنه عبدالله.

رشيد^(٢٠) التي أنجبت ابنه تركي بن عبدالله الذي توفي في حائل^(٢١).

كما أشارت الوثيقة إلى الخلاف بين الإمام عبدالله وأخيه الإمام سعود، وهو خلاف دام نحو تسع سنوات، بدأ بوفاة الإمام فيصل بن تركي عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م وانتهى بوفاة الإمام سعود بن فيصل عام ١٢٩١هـ / ١٨٧٥م. وكان هذا الخلاف إيذاناً بتفكك الدولة السعودية الثانية ثم سقوطها عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م.

كما أطلقت الوثيقة لقب صاحب فرمان الدولة على الإمام عبدالله بن فيصل، وأن الإمام عبدالله بعد هزيمته في معركة جودة سنة ١٢٨٧هـ من أخيه الإمام سعود وخروجه من الرياض كتب إلى والي بغداد مدحت باشا يستنجد به ضد أخيه سعود، فأرسل والي بغداد حملة بقيادة نافذ باشا ومعه جيش من الكويت بقيادة عبدالله بن صباح وأخيه مبارك، وكان هدف الحملة المعلن إعادة الإمام للحكم لأن الدولة العثمانية عدته حاكماً شرعياً معيناً من قبلها كقائم مقام لنجد وتوابعها. والسؤال المطروح أمام هذه الوثيقة هل كان الإمام عبدالله معيناً بفرمان عثماني على نجد؟.

يرى محمد عرابي نخلة في تاريخ الأحساء السياسي أن الإمام فيصل كان يعد قائماً عثمانياً، وعلى ذلك فإن خليفته من بعده يعتبر تابعاً للدولة العثمانية^(٢٢).

(٢٠) ضاري الرشيد، نبذة تاريخية عن نجد، ص ١٠٥.

(٢١) تعليق من الدكتور عبدالله العثيمين على نص ضاري الرشيد في كتابه نبذة تاريخية عن نجد.

(٢٢) محمد عرابي نخلة، تاريخ الأحساء السياسي، ص ١٥٢-١٥٣.

وبالرجوع إلى المصادر والوثائق العثمانية والبريطانية لا نجد ما يؤيد أن الإمام فيصل كان قائمقاماً عثمانياً على نجد، وكذلك ابنه عبدالله. ويؤكد ذلك الرسالة التي أرسلها الإمام فيصل بعد عودته إلى نجد واسترداده الحكم عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م إلى والي جدة عثمان باشا مع أحمد السديري، يشير فيها إلى أن الله - سبحانه وتعالى - أظهر الحق على الباطل، موضحاً رغبته في إقامة علاقة طيبة مع السلطان العثماني، ولم يشر الإمام فيصل في هذه الرسالة إلى ارتباطه بالولاء أو التبعية للسلطان العثماني^(٢٣).

كما يؤكد ما أشير إليه - من عدم صحة ما ورد في الوثيقة - أن الإمام عبدالرحمن الفيصل بعد خروجه من نجد عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩١م إلى جهات الأحساء اجتمع به الدكتور زاخو طبيب الجيش العثماني في شهر جمادى الآخرة من ذلك العام، وعرض عليه ولاية الرياض يحكمها من قبل الدولة إذا اعترف لقاء ذلك بسيادتها، ودفع بمثابة الخراج ألف ريال في السنة، فرفض الإمام عبدالرحمن العرض قائلاً بأنه لا يثق بالدولة العثمانية أو يتكل عليها^(٢٤).

ومن ذلك يتضح أن ما أشير إليه في الوثيقة و ما ذكره محمد عرابي نخلة غير دقيق، فلو كان الأمر كذلك لأصبح الإمام عبدالرحمن قائمقاماً عثمانياً خلفاً لأخيه عبدالله، كما أن رفض الإمام عبدالرحمن لعرضه وقد تأكد خروج الحكم من يده دليل على أنه يريد إرسال رسالة إلى الدولة العثمانية

(٢٣) الأرشيف العثماني، تصنيف I.mes.muh.2437.

(٢٤) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ١٠٦.

مفادها بأنه لا يثق بها ولا يريد أن يكون تابعاً لها، مما يوحي بوجود نوايا جادة لديه لاستئناف القتال مع ابن رشيد واستعادة الحكم.

لذلك يمكننا القول إن الدولة العثمانية أظهرت تبعية الإمام عبدالله لها أمام الاعتراضات البريطانية لإثبات شرعية التدخل العثماني في الأحساء، وذلك أمام اعتراض القنصل البريطاني في الخليج الذي زار الإمام عبدالله طالباً حصوله على مركز في ساحل البحر، وكان الإمام عبدالله يرى أن التدخل العثماني أضمن لمساعدته في استرداد الأحساء.

ثم أشارت الوثيقة إلى موقف الإمام سعود العدائي من الدولة العثمانية حينما واجه القوات العثمانية قرب الأحساء في الخويراء، وهي وقعة ذكرها صاحب تحفة المستفيد بقوله: "وفي آخر جمادى الآخرة (١٢٨٨ هـ) خرج سعود بن فيصل من بلد الدلم ونزل على قبيلة العجمان، ووفد إليه رؤساء قبيلة آل مرة وحسنوا إليه مهاجمة الأحساء وإنقاذها من الأتراك، واجتمع عليه خلق كثير من الطامعين في النهب والسلب، وتوجهوا إلى الأحساء وجعلوا يغيرون على القرى وينهبون المارة ويفسدون الزروع والثمار، فخرج إليهم قائد الجيش التركي ومعه الإمام عبدالله بجميع ما لديهم من الجيوش والمدافع، فوقع بينهم القتال في الموضع المسمى "الخويراء" الواقع جنوبي مدينة الهفوف، وانهزم جند الأمير سعود بن فيصل بعدما قتل منهم رجال، وأمنت البلاد وشملها الاستقرار" (٢٥).

(٢٥) محمد بن عبدالله العبد القادر، تحفة المستفيد، ج ١، ص ٢٩٥.

ثم أشارت الوثيقة إلى قدوم الإمام عبدالرحمن لمهاجمة الأحساء بعد خروجه من بغداد، والوثيقة بذلك تشير إلى حادثة ذات أهمية ودلالة على أن الأهالي بادية وحاضرة في الأحساء كانوا ضد الوجود العثماني، حيث وقفوا مع الإمام عبدالرحمن، وكاد الحكم العثماني ينتهي في الأحساء لولا الحملة التي قادها رئيس قبائل المنتفق ناصر السعدون في ذي القعدة من عام ١٢٩١هـ. يذكر المؤرخون تفصيل ذلك الحدث فيقول ابن عبدالقادر في تحفة المستفيد: "... في رمضان سنة إحدى وتسعين قدم الإمام عبدالرحمن بن فيصل بن تركي من بغداد إلى الأحساء ومعه فهد بن صنيطان، وانضم إليه طائفة من العجمان وآل مرة، وطلب من أهل الأحساء مناصرته على إخراج جنود الأتراك من الأحساء فأجابوه إلى ذلك، ما خلا "الكوت" لأنه مقر العساكر التركية، فحصر الإمام العساكر في حصونهم ثم هاجم قصر "خزام" المعروف في الهفوف وفيه حامية عسكرية، فأبادوها عن آخرها وشدّدوا الحصار على من في "الكوت"، واستمر الحصار إلى ذي القعدة، وفي أثناء هذه المدة كتب والي الأحساء إلى متصرف بغداد بما حدث وطلب منه النجدة^(٢٦).

وفي ذي القعدة من سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف توجه ناصر باشا بن راشد السعدون من البصرة ومعه حملة عسكرية وجميع قبيلة المنتفق، ولما قربوا من الأحساء خرج إليهم الإمام عبدالرحمن بمن معه من العجمان وآل مرة وأهل

(٢٦) المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٩٩.

الأحساء لمحاربتهم، فالتقى الجمعان بالموضع المسمى بـ "الوزية"، وكان وقت صلاة العصر قد حان، فأمر الإمام عبدالرحمن الناس بتقديم الصلاة على مباشرة القتال، وحينما أحرم الناس بالصلاة رماهم العدو بالمدافع، فانهزم رعا الناس وسرت الهزيمة، وتتابع الناس في الانهزام وتبعهم العدو وغشيه الليل، فقتل من قتل وأسر من أسر.

وفي صباح اليوم الثاني زحف ناصر باشا إلى بلد الهفوف، وصب جام غضبه على فريق "النعاثل" و"الرفعة"، واستباحهما الجيش ثلاثة أيام فنهبوا البيوت وسلبوا النساء وقتلوا من وقع في أيديهم، وفر جميع السكان وتفرقوا القرى، وفر كثير من الأعيان إلى بلاد البحرين ومنهم آل الشيخ مبارك. أما الإمام عبدالرحمن فقد سار بعد الهزيمة إلى الرياض. ومن مشاهير القتلى: الشيخ عبدالعزيز بن نعيم، ومحمد بن عبدالرحمن بن عامر، وعمه أحمد، ورشيد بن عبدالرحمن الباهلي، وكان ذلك في آخر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين ومائتين وألف، وتعرف عند أهل الأحساء بسنة ناصر باشا.. (٢٧).

ثم أشارت الوثيقة إلى اعتداء أبناء الإمام سعود على عمهم الإمام عبدالله وحبسه في الرياض، ثم قدوم ابن رشيد إلى الرياض منجداً حيث أخرجه من سجنه. وذكرت الوثيقة أن سبب الخلاف هو الاتصالات التي يقوم بها الإمام عبدالله مع الدولة العثمانية.

وما أشارت إليه الوثيقة صحيح عن الخلاف وعن سجن أبناء الإمام سعود لعمهم الإمام عبدالله، إلا أن سبب الخلاف الذي أشير إليه في الوثيقة غير دقيق، فإن سجن أبناء الإمام سعود لعمهم عبدالله عام ١٣٠٥هـ كان طمعاً في الحكم^(٢٨).

ثم أشارت الوثيقة إلى تولي الإمام عبدالرحمن الحكم وأنه حبس ابن سبهان وقتل بعض رجاله وأخذ دوابهم وأموالهم، وما أشارت إليه الوثيقة في هذا الموضوع صحيح، فإن الإمام عبدالرحمن طلب من ابن رشيد أن يعزل عامله على الرياض فهد بن رخيص، فعزله وعين بدلاً منه سالم بن سبهان، مما ساء للإمام عبدالرحمن لعدم التزام ابن رشيد بوعده قطعه على نفسه للإمام عبدالله بعزل عامله على الرياض، وكذلك لتعيينه لسالم بن سبهان، وهو يعلم أنه سبق أن أمر بقتل أبناء الإمام سعود في الخرج^(٢٩)؛ لذلك كان العداء مستحكماً بينه وبين الإمام عبدالرحمن الذي عزم على الثأر لأبناء أخيه. يقول محمد بن عبدالله آل الشيخ وهو معاصر لتلك الأحداث: "أن الإمام عبدالرحمن جمع حاشيته من بني أخيه من آل جلوي وابن صنيتان عبدالله بن سعود وجمعاً من خدمه، وأحب أن يقوم بالثأر في أولاد أخيه سعود، وانحبس عن صلاة العيد وأظهر أنه مريض، وبعد العيد (سير) عليه ابن سبهان وهو إذ ذاك قد صمم على القبض عليه. ومع

(٢٨) د. عبدالله العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٣٠٧.

(٢٩) في أول شهر ذي الحجة من عام ١٣٠٥هـ أمر سالم بن سبهان بقتل عدد من أبناء الإمام سعود، وهم محمد وسعد وعبدالله. أما عبدالعزيز فكان عند ابن رشيد في حائل فأمره بالبقاء عنده.

سالم ثلاثة عشر رجلاً وبقية أخويه سبعة عشر رجلاً في القصر الشرقي الذي عزلوا منه المصمك بناية الإمام عبدالله بن فيصل المعروفة، فلما استقر سالم في القصر الداخلي في الصفاة عند الإمام عبدالرحمن وجلس ودارت القهوة، وقد أعلم الإمام عبدالرحمن الذي عنده من الحاشية والخدم إذا قمت من المجلس فأقضوا اللزوم بقتل سالم ومن معه. ثم قام الإمام عبدالرحمن للخروج حسب الاتفاق، فأحس بذلك سالم وتعلق برقبة الإمام أنه داخل عليه وعلى والده فيصل في قبره، وقد قضت العداة على خليف خوي سالم الذي قتل آل سعود في الدلم، ومنع الإمام عبدالرحمن العداة عليهم وامتنعوا كارهين وحبسهم الإمام في القصر، سالم وأحد عشر رجلاً معه - قصر الصفاة الداخلي - وجعل عندهم حرساً من الخدام^(٣٠). ولما استحسنوا خويا سالم وهم سبعة عشر رجلاً بالموضوع مريضين في القصر أغلقوا باب القصر، ومحمد بن فيصل ساكن القصر ببيوته الشرقية التي بصف الثميري الذي عمره سعود بن عبدالعزيز الكبير وسكنه، ومحمد بن فيصل أخ الإمام عبدالرحمن يخرج من القصر ويعود إليه على عادته، وأخذوا أخويا سالم المتحصنين

(٣٠) أبقى الإمام عبدالرحمن على ابن سبهان ورجاله في السجن منذ القبض عليهم في الحادي عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٠٨ هـ حتى قدوم ابن رشيد على الرياض وحصارها. وحين تمت المصالحة بين الإمام عبدالرحمن وابن رشيد أطلق الإمام عبدالرحمن ابن سبهان وأصحابه، وأطلق محمد بن رشيد الذين عنده من آل سعود، وذلك في شهر ربيع الأول عام ١٣٠٨ هـ. انظر: ابن بسام، تحفة المشتاق، ص ٣٧٦.

في القصر مدة يومين لا غير ثم طلبوا من الإمام الأمان على يد محمد بن فيصل وعلى يد الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، وأظهروهم بالأمان وطلب الإمام من الشيخ عبدالله أن يكونوا في بيته مخافة عليهم من الحاشية يقتلوهم، وأقاموا في بيت الشيخ أربعة أيام، ثم زملهم الإمام وأرسل معهم محافظين إلى المجمعّة المواليين لابن رشيد، ومنها أرسلهم إبراهيم بن عسكر إلى ابن رشيد..^(٣١).

والأحداث التي تناولتها هذه الوثيقة التاريخية تتفق مع تلك الأحداث التي أوردتها المصادر مع اختلاف في أسبابها ونتائجها حسب المفهوم العثماني لتلك الأحداث.

أما ما أشارت إليه الوثيقة عن حملة قام بها الشيخ قاسم بن ثاني ضد الإمام عبدالرحمن قرب الرقيقة في الأحساء عام ١٣٠٨هـ والتي سبق الإشارة إليها، فهي إضافة تاريخية بحاجة إلى دراسة مستقلة عن علاقة الشيخ قاسم آل ثاني بالإمام عبدالرحمن، حيث تشير المصادر التاريخية أنه استضافه وأسرتة في قطر التي وصلها في شهر صفر ١٣١٠هـ/ أغسطس ١٨٩٢م وغادرها في جمادى الأولى/ نوفمبر من ذلك العام.

(٣١) رواية محمد بن عبدالله آل الشيخ المحفوظة بدارة الملك عبدالعزيز.

الملاحق



